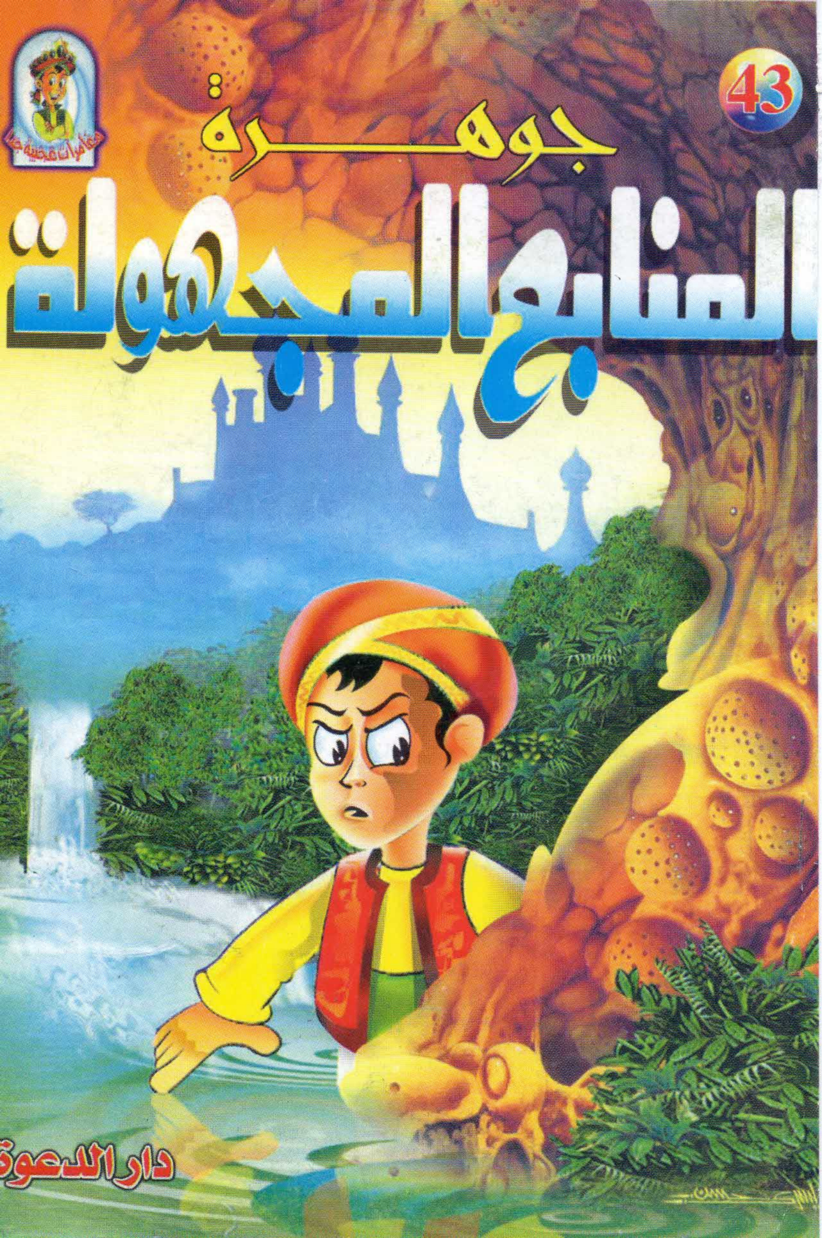

43
جوهرة
المنابع المجهولة
دار الدعوة



جوهـــرة
المنابع المجهولة

- عباس .. ما رأيك .. هل وصل أحد إلى ما وصلنا إليه نحن.
- لا أعتقد سيدي القائد مؤمن .. نحن على الأرجح أول من وصل إلى هذا المكان من المستكشفين .. لا أحد يجرؤ على دخول هذه الغابة.
- ماذا ؟ .. ماذا قلت ياعباس ؟

عزيزي القاريء : ما تلك المهمة الجديدة التي سيقوم بها مؤمن في هذه المغامرة وما تلك الغابة التي لا يجرؤ أحد على دخولها وما الصعوبات التي واجهتهم في تلك الغابة.

دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس : ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

سلسلة

مغامرات مؤمن..

43

جــوهــرة

المنابع المجهولة

تأليف / علاء الدين طعيمة

رسوم/ يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري



الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع القانونى
٨٤٣٦ / ٢٠٠١م

الترقيم الدولى : 977 - 253 -276-X

تحذير

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
☎ ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٠١٦٩٥

لأن يقوم فريق من الرجال الأكفاء بغزو صحراء لاكتشاف مناطق لم يذهب إليها أحد أو أن ترسل الحكومات جيوشاً من العلماء لمعرفة ما تخبئهُ الطبيعة من غرائب فى بقاع بعيدة من الأرض فهذا يعد من أمتع المغامرات .. لأن المكتشف الباحث عن الحقائق والمريد لهدف جغرافى يكون هو أول من يحاول وأول من يرى وأول من يفاجأ .. فهو بجانب عمله الشاق يعد ضحية مع وقف التنفيذ.. ضحية للعلم و للفضل الذى يعود على الناس بسبب مجهوداته الخطرة .

ها هو مؤمن ينتقل من مغامرة إلى آخرى ... فقد انتهى تواً من مغامرة السفينة الضائعة .. وحلم بأن يعود إلى الوطن مصر وإلى أمه .. لكن خاب فى ذلك

ظنه .. فأثناء مروره بأحد البلاد للراحة من عناء السفر وجد بها قصراً .. عرف من فوره أنه قصر السلطان أو حاكم هذه البلاد .

لم تكن من عادة مؤمن أن يلجأ إلى قصور السلاطين لطلب الهبات أو أى شئ مما يعنيه السفر .. فهو ذو عزة نفس . إذا سأل لم يسأل إلا الله وإذا استعان لم يستعن إلا بالله .

ومع ذلك فقد جذبه مظهر القصر الخارجى الجميل فى بساطته وعدم اتساع أركانه كما يفعل السلاطين .. فأحس أنه أمام سلطان بسيط الغاية وقد يكون زاهداً من الزاهدين مع علو منزلته ورفعة شأنه ومقامه بين شعبه . قرر مؤمن تجاوز القصر إلى حيث يمتد طريق بين حقول

منبسطة يؤدى إلى خارج المدينة حتى يستكمل رحلته .

ولكنه قبل أن ينحرف بجانب القصر سمع جلبة شديدة ورأى الناس يخرجون من باب القصر وهم فى قلق ولغط شديد وكانوا مع ذلك يلتفون حول رجل قصير القامة يحمل لفافة من البردى .

جذب مؤمن هذا المنظر الغريب فتوقف يتابع ما يجرى فإذا بالرجل القصير يصيح فى الناس وهو يقول:

ـ أيها الناس .. أيها الناس .. لقد غضب السلطان اليوم غضباً شديداً .. ولن يقابل أحدا .

فصاح رجل منهم فى غضب :

ـ ومالنا نحن بما يجرى عندكم .. إن لنا حاجات لا نستطيع تأجيلها فقال الرجل القصير :

- أنصحكم بعدم طلب الدخول على السلطان اليوم . . كفى أنه لم يجد فى المدينة رجلاً يعجبه .

فقال رجل آخر :

- يا أخى . . إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع . . لقد خرج عشرات الرجال ولم يعد منهم أحد حتى الآن .

- بل عاد واحد . . عاد خائباً ولم يحقق غرض السلطان

- وما لنا نحن . . هل نترك تجارتنا وأعمالنا ونخرج فى مغامرات مجنونة .

سمع مؤمن كلمة مغامرات فلم يصبر مكانه بل ذهب يتحرك نحو الجمع الذى غادر ساحة القصر الخارجية وهو يرى التجار وكبار القوم ينصرفون فى غضب وتذمر . . وزاده حب الاستطلاع تقدماً حتى

لحق بالرجل القصير .

ـ سيدى .. من فضلك .

ـ وماذا تريد أنت الأخر .. قلت السلطان لا يقابل أحداً اليوم .

ـ عفواً .. عفواً سيدى .. أنا لا أريد مقابلة السلطان .

ـ لا تريد مقابلة السلطان .. وماذا تريد منى إذاً ؟ .. أنا هنا من أجل مقابلات السلطان فقط .. أنا الديدبان.

ـ مرحباً بك .. فى الحقيقة أنا لست من شعب هذه المدينة .. أنا غريب عن هنا .. أنا من مصر .

ـ من مصر ؟! ... مرحباً بك ياولدى .. مرحباً بكل مصرى فى بلادنا .. فأنتم أهل مجد وكرم .

ـ شكراً لله .. هل لى فى سؤال بسيط .

ـ تفضل ياولدى .. على الرحب والسعة .

- كنت أمر بالقصر فى سفر ولكن الفضول جعلنى أقف على ما كان يحدث هنا منذ قليل .. ودفعنى الفضول أيضاً لأعرف ما الذى أغضب السلطان وما هو مطلبه الذى عجز أهل المدينة عن الوفاء به .

ضحك الرجل وقال :

- هذا أمر شاق ياولدى والله .. ولا أخفى عليك .. لقد طلب السلطان طلباً مستحيلاً .

- ما هو ؟

- السلطان رجل علم يبحث فى مواقع البلاد والأراضى بما يسمونه الجغرافيا وله فى علم الفلك باع طويل .. ورغم كل ما جمعه من علم وعلماء وكتب ودراسات وما قطع فيه طوال عمره . إلا أنه عجز عن معرفة منبع النهر .

- أى نهر ؟



- أنظر هناك على الطرف الأيمن من المدينة يوجد نهر يمر بنا ثم يسير حتى يصب فى البحر .. أراد السلطان أن يعرف منبع هذا النهر.

وسافر بنفسه فى حملات كثيرة وسار مع النهر شهوراً طويلة ولكنه عجز عجزاً محبطاً وعاد فى كل مرة يحمل الخيبة والغضب ولما وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً ولم يقو بدنه على تحمل السفر واعادة المحاولات تمنى قبل الموت أن يخبره أحد من المغامرين عن المكان الذى ينبع منه هذا النهر الطويل .. وتحمس الكثير من شباب ورجال المدينة لرغبة السلطان .. وذهب العشرات ولم يعودوا إلا واحداً غاب لمدة شهور ثم عاد وهو مريض على ظهر جمل ومات بالحمى ولم

يقل غير عبارة واحدة .

ـ وما هى ؟

ـ قال . . (من أراد أن يعرف من أين ينبـع النهر فليذهب طائراً وإلا فلا .)

ـ ماذا ؟ طائر ؟ . . ما معنى ذلك ؟

ـ ليس للعلماء فى قول هذا الرجل غـيرمعنى واحد . . أنه من المستحـيل الوصول إلى المنبع عبر المـاء أو اليابسة . . وأن الحل الوحيد هو الطيران فى السماء .

ـ يا الهى . . ألهذه الدرجة ؟

ـ ومن يومهـا يا ولدى يرفض أهل المدينة ويتهرب الشـباب والرجال من الامر ومن أجـبره السـلطان على ذلك حمل متاعـة وغادر البلاد إلى غـيرها . . وها هو السـلطان فى غضب شديد كلما تذكر ذلك .

وبدون تردد وبدافع المغـامـرة الذى يسرى فى دمـاء مؤمن ولا يخذله أبداً صاح على الفور :

ـ سيدى .. هل لى فى مقابلة السلطان؟

فصرخ الديدبان وقال :

ـ ألم أقل لك أن السلطان لا يريد مقابلة أحد .

فضحك مؤمن وقال :

ـ حتى لو كانت المقابلة بشأن اكتشاف منبع النهر ؟

ـ ماذا ؟ .. ماذا تقول ؟

ـ لقد سمعتنى جيداً يا سيدى .

ـ كـررها مـرة أخـرى بالله عليك .. هـل تود التطوع فى هذه المهمة ؟

ـ نعم سيدى .. بكل سرور .

ـ هل أنت مجنون أيها الغلام ؟

ـ سيدى .. هل تهزأ بى ؟

ـ هيا يا ولدى .. هيا ارحل فى طريقك إلى بلادك ...

حار مؤمن بين رغبة فى المغامرة وبين رفض الرجل لتصديق ذلك فقال :

ـ سيدى .. لن أرحل من هذه المدينة ما لم أقابل السلطان .

ـ إذا ستعيش هنا طويلاً .

ـ سيدى ستصل رغبتى إلى السلطان بطريقة ما .. وسأخبره أنك منعت غلاماً يريد التطوع من مقابلته . السلام عليكم .

وتظاهر مؤمن بالانصراف فجرى الرجل وراءه .

ـ ماذا تقول ؟ .. انتظر .. انتظر .. هل تريد أن يقطع

السلطان رأسى؟ سأجعلك تقابلة .. انتظر .. اياك أن تنصرف حتى أرجع إليك .

ـ أعدك بأننى على أحر من الشوق للقاء السلطان .

ودخل الرجل يجرى عابراً ساحة القصر الخضراء ثم فتح الحراس له الباب ولم يغب بضع دقائق حتى انفتح باب القصر مرة أخرى وظهر الرجل وهو يشير لمؤمن وينادى عليه :

ـ تعالى .. تعالى ..

فلما رآه مؤمن اندفع نحوه فجذبه من يده وأدخله على السلطان :

ـ السلام عليكم ياسيدي سلطان المدينة .

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. من أنت ؟

ـ أنا مؤمن من مصر .. وجئت يا سيدى إلى المدينة فى

سفر عابر فعرفت بامر النهر فكانت لى رغبة فى التطوع لإكتشاف منابعه .

ـ نظر السلطان العجوز إلى مؤمن نظرة عالم خبير ولكنها لم تخلو من الدهشة والإستغراب لصغر سن مؤمن ودقة جسمه وقصر قامته .

ـ الا ترى ياولدى أنك ما زلت صغيراً على هذه المخاطرة ؟

ـ هل يتسع وقت سيدى السلطان لأقص عليه خبرى وخبرتى ؟

ضحك السلطان ثم اعتدل فى عرشه وأشار لمؤمن بالجلوس:

ـ إذاً . . مادام الأمر كذلك . . فلتروى لى حكاياتك وتهون من حزنى وغضبى . . هيا قص علىّ أخبارك .

جلس مؤمن فى أدب وجلس السلطان يستمع إليه .

فلما قص أحـداث المغامـرات الأولى ولم يأته أحد بكوب ماء واحد . . أمر السلطان على الفـور فأحضروا له طعاماً كـثيراً . . حتى إذا أشرف عـلى نهاية الحديث كان هناك اثنان من العـبيد يروحون عليـه الهواء بمراوح من الريش . . فـقـد أعــجب السلطان به وبـصـدق حديثه . . وهاله مـا سمع من أعجب المغامـرات فقرب مؤمن من مجلسه :

- أهلاً ومرحبـاً بك ياولدى . . يبدو أننى قد عثـرت أخيراً على من يحقق لى أمنيتى فى اكتشاف منابع النهر .

- بإذن الله سـيـدى السلطان ستـجـدنى إن شاء الله من المخلصين وسيوفقنى الله بعـونه لاكتشاف هذا المنبع الذى أضنى الكثير، ابتسم السلطان ثم قال :

- وأنا اعتقـد فى ذلك . . أتعرف لماذا ؟ . . لأنك أول من

قدم مشيئة الله على العمل الذى ستهم به .

- سيدى يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف ٢٣ـ ٢٤] .

- بسم الله ما شاء الله .. ما أنجبك من ولد صالح .. والله إنه ليروق لى مرافقتك فى الرحلة لولا كبر سنى وضعفى ..

- لا عليك يا سيدى إلا أن تدعو الله لى بالتوفيق .

قام السلطان يهب من مكانه ورفع ذراعه فى حزم :

- ما دمت تبحث عن جواهر التاج يا مؤمن .. فلسوف أمنحك صندوقاً من الجواهر إذا أفلحت فى مهمتك .

- شكراً لله يا سيدى .. دع الأمر كله على الله .

ـ والآن سنخصص لك جناحاً فى القصر لتستريح . وبعد ذلك فى المساء سأجمع لك كل العلماء لندرس سوياً ما لدينا من خرائط ومعلومات . ولنرى ما يمكنك عمله أيها المغامر المؤمن . . مؤمن .

وجاء الخدم فحملوا مؤمن على محفة ضيوف الشرف . . ثم ذهبوا به إلى الحمام حيث لقى عناية شديدة وحُمل بعد ذلك إلى جناحه حيث استلقى على الفراش وذهب فى نوم عُميق ولم يوقظه غير حارسه فى المساء :

ـ سيدى مؤمن . . السلطان يطلب فى حضورك مجلسه فى الحال .

وفى لحظات كان مؤمن لدى مجلس السلطان . . فوجد جمعاً لديه من شيوخ العلماء وقد بسطوا أمامه

خريطة كبيرة . . ورحبـوا بمؤمن ترحيباً بالغاً ثم جلسوا يتدارسون فيما بينهم أمر الرحلة الاستكشافية :

ـ ما رأيك يا مؤمن ؟

ـ أرى أن من ذهب من قبل قـد قطع شوطاً طيبـاً . . وها هى الخريطة تخبر بذلك .

ـ قال السلطان :

ـ هذه الخريطة يا مؤمن خريطتى . . أنا الذى قمت برسمها وآخر موقع وصلت إليه هو مـا انتهى اليه منظر النهر . . لكنى لا أعلم ماذا بعـد ذلك من بلاد وأصقاع ولا أدرى كم من مسـافة حتـى منبع النهر وكم من وقت يسـتلزمه الراحل حتى يصل إليه .

ـ أرى يا سيدى أن علينا الإسراع بتنفيذ الأمر .

ـ وأنا أرى ذلك أيضـا . . من الصبـاح الباكـر يا مـؤمن

ستكون هناك حملة من كل ما تريد طوع أمرك من العبيد والرجال والمؤن والسلاح .

وانتظر مؤمن في جناحه حلول الصباح .. ولم يذُق طعم النوم لسهره وتفكيره المستمر في هذه المغامرة .

وقبل الفجر بقليل تعالت صيحات السلطان وأدرك مؤمن أن الرجل يشكو مرضاً أو علة .. فهرع إليه على الفور .. واستدعى طبيب القصر وظل حتى الظهر وحوله الحاشية والأهل والأتباع وتأخر خروج مؤمن للرحلة .. ولم يتماثل السلطان للشفاء إلا في ساعة العصر وكان وحده في مخدعه فطلب أن يرى مؤمن فأتى إليه :

ـ مؤمن .. لقد تعافيت بحمد الله .

ـ الحمد لله ياسيدى .. معذرة .. فإن مرضك قد أخرنى



عن الخروج لمهمتى اليوم .

ـ أتعرف يا مؤمن ما الذى جعلنى هكذا . . مرضى المفاجئ . . وعدم خروجك للرحلة ؟

ـ أعرف يا سيدى .

ـ هل تعرف ؟ . . هل تعرف حقاً ؟

ـ بالأمس يا سيدى . . قلت : من الصباح الباكر يامؤمن ستكون هناك حملة فيها كذا وكذا ولم تقدم المشيئة . . ولم تقل إن شاء الله .

ـ رائع . . أنت غلام لا نظير لك . . نعم . . كان يجب علينا أن نقول غداً بإذن الله أو إن شاء الله سنفعل كذا وكذا .

ـ الحمد لله أن تعلمنا يا سيدى من هذا الموقف . . هل سنخرج غداً ؟

- بإذن الله ومشيئته يامؤمن سنعد لك العدة وتخرج غداً بإذن الله .

- سيدى أنا لا أدرى كم من الوقت سأستغرقه بإذن الله ف رحلتى فلا أعرف متى سأعود بحفظ الله تعالى . .

- لا تخف يا مؤمن . . سأنتظرك ولن أرسل أحداً بعدك فى هذه الرحلة فأنت آخر أمل لى فى هذا الموضوع وأرجو من الله أن يعيدك لنا سالماً غانماً .

- إن شاء الله يا سيدى .

ضحكا سوياً ثم ذهب مؤمن بعد ذلك وبنفسه أخذ يشرف على تجهيز حملته الإستكشافية حتى تأكد من أن كل شئ على ما يرام . . الجمال المحمله بكل ما يلزم من المؤن وحاجات المعسكر ومعه عدد وفير من الزنوج المحاربين المدججين بالسلاح وطباخ وحمالون وكلاب

للحراسه . وفى الموعد المحدد بإذن الله خرجت الحمله وكان السلطان على رأس المودعين لها، واستمرت تسير ساعه من الزمن حتى وصلت إلى شاطئ النهر فأخذت طريقها نحو الشمال حيث يكمن فى مكان مجهول أصل النهر الذى منه ينبع الماء الجارى نحو الجنوب ولم يتوقع مؤمن أن تكون الرحلة بهذا الجمال والروعة . . لقد مضت ثلاثة أيام وهم فى رحلة طيبة . . رغم أعتراض بعض التضاريس الصعبة لطريقهم إلا أن اليابسة حتى الأن تظهر وداً وترحيباً طيباً ولكن فى اليوم الرابع بدأت الأرض تتغير لتصبح أكثر صعوبة حتى أنهم فى مساء ذلك اليوم توقفوا تماماً إذ أن الأرض الطينية كانت عجيناً لازياً تغوص فيه أقدام البشر . فما بال الجمل الذى يحمل على ظهره أثقالاً كبيرة :

- أرى أن نتوقف هنا أيهــا الرجال ونعــسكر فى بقعة جــافة وغداً بإذن الله سوف نتخذ النهر لنكمل خلاله الرحله .

ومضى المعسكر كسابقــه . . وفى الصباح الباكر قام الحمالون فانزلوا من فوق الجمال القوارب الخشبية وتقرر أن يسير ركب الجمال بواسطة بعض الرجال عبر اليابسة فى محازاة النهر بدون أحمال فى حين تنقل المؤن والمتاع والرجال فى القوارب عــبر النهر على أن يسيــر الركبان بحيث يرى كل منهما الآخر .

واستـنمرت الرحله يوماً أخــر على هذا الحال ورغم ذلك إلا أن مؤمن لم يكن مــتزعجاً فكل مــا يحدث لا يعدل أخف مــا قابله من أحداث وأهوال فى مغــامراته السابقة .

كانت القــوارب تسبح عكس التــيار وكان البــحارة

يبذلون جهداً شديداً من أجل التقدم وصاح أحد الملاحين السود بمؤمن :

ـ أيها القائد .. أيها القائد .. نحن لا نستطيع التجديف.. التيار يقوى ضدنا شيئاً فشيئاً .

ولأن متسوى النهر منخفض عن اليابس فقد طلب ممن يسيرون على اليابس تحديد أقصى ما يمكنهم رؤيته على البعد فقام رجل وببراعة وانتصب واقفاً فوق جمل كبير ثم صاح :

ـ أيها القائد .. هناك شلال .. شلال كبير .

قبل أن يتم الرجل عبارته رأى مؤمن والبحارة قمة بعيدة لجبل من الماء يندفع نحو الأسفل وفى اتجاههم مباشرة وأدرك مؤمن أن عليه التوقف لأنه من المستحيل الأبحار ضد ماء ساقط من قمة شلال بهذا الإرتفاع

الشاهق وأمر الجميع فتحول إلى اليابسة وأقيم معسكر بسيط وعلى عجل لدارسة الأمر . وبعد مناقشات وبعد أن أرسل مؤمن دليلاً عاد يخبرهم أن هضبة عالية لا يمكن اجتيازها ترتفع فجأه عن سطح الأرض وبانحدار صخرى لا يمكن التفكير فى محاولة الصعود فوقها .

أخرج مؤمن خريطة السلطان فوجد أن موقع الهضبة هو آخر ما انتهى اليه السلطان . : فعرف أن جهودة قد تحطمت هنا . . وعرف أيضاً أن عليه بعد ذلك التصرف بما يتراءى له وبما تمليه عليه الظروف فوقف وهو يطوى الخريطة وصاح فى الناس :

- سنقوم بعملية التفاف واسعه . . إلى اليسار سنتجه حتى تنتهى هذه الهضبة ثم ندور حولها لنعود مرة أخرى إلى مجرى النهر .

فرد أحد الحمالين وكان يبدو عليه الفطنه والذكاء قائلاً :

ـ سيدى القائد . . أعتقد بأننا سنبتعد كثيراً عن النهر . . ولا نعرف إلى أى مدى تنتهى هذه الهضبة فقد تمتد هكذا إلى بلاد فيما وراء بلاد وسيطول السفر وقد نفقد طريق العودة .

وهنا قاطعه الطباخ كأنه أذنب ذنباً عظيماً قائلاً له :

ـ من أنت أيها الحمّال حتى تعارض القائد فى كلامه وأوامره ؟ هه ؟ . . هو أدرى من الجميع بالمصلحة . . هه . . هه . .

وهنا ابتسم مؤمن عندما رأى الخجل يعلو وجه الحمال وقد ساد الصمت التام فى المكان وقال وهو يربت على كتفة بينما ينظر للطباخ :

- يا أخى .. لا تكن منافقاً لى .. هذا الحمال البسيط لم يطلب ودى بل طلب المصلحة العامة .. لكنك أنت بكلامك أيها الطباخ تريد وتطلب ودى وتتصور أنك بكلامك شديد اللهجه لهذا الحمال سوف ترضى غرورى وتتقرب منى وتجعلنى أفضلك على الجميع .

- سيدى القائد ....

- لا تقاطعنى فى الكلام .. أعلم أننى كنت مخطئاً عندما أصدرت قرارى دون مشاوره .. يا أخى وأمرهم شورى بينهم .. ما خاب من استشار .. وأنا الآن أرى أن رأى الحمال أصوب من قرارى .. مسألة الإلتفاف هذه هى الخطأ الذى وقع فيه من قبلنا وإلا لتمكن السلطان من أتمام الرحله .. أعتقد أنه حاول الألتفاف فغاب فى متاهة أخرى ليتمكن من العبور بعدها .. ولم لا يكون ارتفاع

الهضبه الشاهق هذا هو أقل إرتفاع لها وأننا كلما تقدمنا يساراً أو يميناً زاد إرتفاعها . . ألا تعرف أن النهر هو ماء يجرى لأقل مستويات مسطح الأرض إرتفاعاً ؟

ساد صمت مطبق يحاول الطباخ أن ينصرف عن الموضوع فاقترح أن يقوم بتحضير وجبه سريعة .أما مؤمن فقد أمر الحمال أن يدع وظيفته وأن يساعده فى قيادة الحملة كوزير له :

ـ ما أسمك يا أخى ؟

ـ أسمى عباس . . معذرة لما حدث يا سيدى .

ـ أسمع يا عباس . . من الآن سوف تعاوننى فى قيادة الحمله، هذا الأمر لابد أن يسمع له الجميع . .

وصاح مؤمن فى الجميع :

ـ أيها الناس . . عباس من الآن مساعدى . . وإذا غبت أو

تمت فالأوامـر التى يأمر بها عـباس يجب أن تنفذ كـأنها صدرت منى أنا . . مفهوم ؟ .

ـ سيدى القائد . . أنا سعيد بثقتك فىّ . . لقد قرأت كثيراً وأحـبـبـت العلم والاطلاع والبـحـث . . لكنى . . مع الأسف . . لا أجد من يثق فى .

ـ هكذا أهل العلـم ياعـبـاس فى بداية طريق الجـهـاد . . يلاقـون ما لاقـاه الرسل فى بداية دعـوتهم . . العلمـاء ياعباس ورثة الأنبيـاء ولابد للعالم المفكر أن يكد ويتعب ويصبر ويتحمل صنوف المعاناه حتى يصل إلى مكانه بين القوم تجعله يلقى العلم والحكمـة دون أن يتكبر أويعجب بنفـسـه . . والله ياعبـاس يهـدى سـبله من يجـاهد فى سبيلة . . فها هى لحظات مضت قلت فيها قولة بالحق دون أن تخشى لومة لائم أخرجتك من معاناة العمل فى حمل

المؤن إلى شرف القيادة . . وهذا يا أخى لا يقلل من مهنة الحمال ولا يزيد فى مهنة القائد . . فكل الحياة تعب ومعاناة وإلى الله المصير .

نظر عباس إلى قائده مؤمن نظرة أعجاب وتقدير وقبل أن يرد عليه إذ بالطباخ يعلن أن الطعام جاهز .

وأقبل الجميع فى طابور طويل يحمل كل واحد منهم طبقه ويمر على الظاهى فيغرف له كبشة ويعطية كسرة من الخبز حتى جاء دور مؤمن وكان آخر الطابور فنظر إلى الطباخ وهو يضع له الطعام فى طبقة ثم بعد أن انتهى أعاد إليه الطبق مرة أخرى وقال :

ـ قلت لك أيها الطباخ أن تعطينى من الطعام مثلما تعطى أى واحد من أفراد الحملة .

ـ ولكن . . سيدى . . أنت القائد .

ـ لا يحق للقائد أن يستغل سلطته أيهـا الرجل ليتفضل بها على أحـد من جنوده . . والقائد عليـه مسـئوليـة اقامـة العـدل . . العـدل فى كل شئ أتفـهم يا عبـاس مـا هو العدل ؟ . . فلا يعقل أن يكـون هو أول من يهدم ميزان العدل عندمـا يأكل كمية من الطعام أكـثر من جنوده . . أليس كذلك ؟ سكت الـطباخ ثم أعاد لمؤمن الطبق وفـيه مثلما وضع فى كل طبق وذهب مـؤمن إلى عباس حيث كان يجلس وتناولا الطعام سوياً :

ـ ما رأيك يا عـباس . . هل من اقتراح آخر فـى عبور هذا المانع ؟

ـ والله يا سـيدى القـائد . . إنى لأظن أننا لو اجتـزنا هذا الشلال لوجدنا المنبع قريباً .

ـ ماذا تقول . . هل تعتقد فى ذلك .

ـ سيــدى . . ما من أحد يصــل إلى هذا المكان إلا وحاول الالتـفاف كـما ذكـرت سيــدى القــائد . . لهذا تفــشل الرحلة.

ـ انظر ياعبــاس . . الشلال الشاهــق والماء الذى يهدر من فوقه يفتت الأحجار . . وارتفاع الــهضبة على جانبية . . انظر إلى القــمة انهــا تعانق الســحاب . . منظره مــهيب ورهيب . . فى حــياتى لم أر جــبــلاً بهذا الارتفــاع . . وهذا الانحدار . . ماذا قلت ياعباس ؟

ـ شئ يصيب المرء بالاحباط ياسيدى القائد . . انها الطبيعة التى تقهر وتتحدى الإنسان .

ـ اسمع يــاعباس . . أريدك أن تخــبرنى بكل جــديد وفى وقت سريع . . أريدك أن تخبرنى بشئ يدور فى رأسى

ـ سيدى . . لا يوجد غير حل آخر . . واحد . . لا بديل

له . وأعتقد أنه لا يصلح ؟

ـ لماذا ياعباس ؟

ـ ليس الجميع على قلب رجل واحد ياسيدى .

ـ إذن نقوم بتقويتها .

ـ العمر غال عند صاحبه ياسيدى .

ـ أليس كل من حضر إلى هذا المكان يعلم أنه قد يموت.

ـ وسيلة الموت هى التى تجعل الرجل يتراجع ياسيدى .

ـ وإذا وعدناهم بمال وفير .

ـ سيوافقك البعض

ـ والآخرون .

ـ سيرفضون. . ثم هل نسيت الحيوانات التى تحملنا

ـ قال مؤمن: هذه ما ستضحى به من أجل . . . . .

ـ من أجل أى شئ ياسيدى ؟ . . قد نحتاج إليها بعد ذلك

- عباس لم تقل لى ما الذى يدور برأسى .

- تريد أن نتسلق الهضبة .. أليس كذلك .

- أنت عبقرى ياعباس .. لكنك تثير الإحباط فى قلبى .

- عفواً ياسيدى .. احاول فقط أن أجعلك توازن الأمور. فلو أردت أن تتسلق لن يتبعك إلا القليل .. ولن تستطيع حمل الجمال والحمير إلى ما فوق الهضبة .

كان الليل يقترب مسرعاً بسبب اختفاء الشمس وراء الشلال العالى.. ولأول مرة يشعر مؤمن بحيرة كبيرة.. ولكنه مع ذلك كان فيما مضى من زمن الرحلة محظوظاً .. فلم يسأل نفسه لماذا كان الطين فى المكان كثيفاً تغرز فيه الأقدام .. لم يكن يدرى أن الأمطار تهطل طيلة العام إلا قليلاً .. فها هى السماء من جديد تريد أن تستكمل حميتها .. فبدون إنذار سابق انسكب

الماء فوق الرءوس ولم يستطع المعسكر الصمود تحت الوابل المنهمر بدون رحمة وساد الهرج والمرج وأخذ مؤمن وعباس يحاولان السيطرة على الموقف بدفع الحيوانات نحو الأعشاب العالية والتى لم يكن غيرها بالمكان . . لكن المطر حول المكان فى لحظات إلى مستنقع كبير وأصبح الغوص فى الطين أمراً لا مفر منه . . وكانت الظلمة تزيد من الطين بله . . وأجبر ذلك الجميع على التخبط فى عشوائية فلا مفر من الاستسلام إلى ربوة عالية من الطين وناموا تحت المطر الذى لم يكف حتى الصباح التالى :

ـ سيدى القائد . . ما العمل ؟ انها ظروف صعبة للغاية

ـ لا بد أن نتجه صوب الشلال بأى طريقة . . فالهضبة قد تحمينا من المطر .

ـ هذا صعب جداً ياسيدى .

ـ ما بالك ياعباس . . هل تريد أن نظل مكاننا حتى نغرق فى الطين ؟ . . هيا بنا . . إنى ألمح غابة على البعد . . أليست كذلك ؟

ـ بلى ياسيدى القائد . . هى على مرمى البصر فى نهاية الأفق ويبدو أنها تحت الهضبة تكونت بفعل رزاز الشلال المستمر .

ـ سنحتمى فيها بإذن الله من المطر . . هيا بنا.

كانت رحلة شاقة . . ماء ينهمر من فوق وطين يعوق السير من تحت الأقدام وانعدام رؤية فى المواجهة . . وحيوانات تسقط بما عليها فى الخلف ويفر بعض أفراد الحملة هرباً دون أن يشعر بهم أحداً .

الطريق إلى الغابة سيأكل نهاراً بأكمله إذا كان الجو

صحواً والأرض طيبة، ولكن فى مثل هذه الحالة فإنها تستغرق أكثر من يومين .

لم يكن هناك أى مجال للتوقف . . فالتوقف معناه الغوص فى الطين وانعدام القدرة على المواصلة .

الملابس تنشع بالماء . . الجوع يسده خبز مبلل إلى درجة الذوبان يسقط من الأصابع قبل أن تناله الشفاه . والطين يصل إلى الأفخاذ .

لم يستطيع مؤمن حصر الباقين من الحملة ولكنه شعر بأن أكثر من نصف الحملة قد فقد إما بالموت أو الهرب .

ومرت ساعات الرحلة المميتة فى صمت تام . . الظهور تنأى بالأحمال والأهطال . واقتربت الغابة ولاحت للبصر فى صباح يوم جديد . . وشجع ذلك

أفراد الحملة على الإسراع وتحمل التعب والإجهاد .
وكانوا يأملون أن يجدوا بين أشجارها موقعاً يحميهم
من المطر الذى لا يرحم .

وتقدموا حتى وصلوها ثم اخترقوا أشجارها الأولى
الكثيفة المتراكبة التى تصنع مظلة طبيعية ورحمة الله
نالتهم عندما اظلت الجميع ولم ينفذ من بين أوراقها
المتعانقة الكثيفة وأغصانها المتشعبة العاليه إلا نقاط قليلة
من المطر فألقى الجميع أجسادهم على الأرض المكسوة
بالورق الساقط من الشجر وذهبوا جميعاً فى سبات
عميق وعندما قاموا لم يدر أحد منهم كم مر عليهم فى
نومهم الذى جاءوا إليه منذ ليلتين .

كان الرجال فى إنهاك شديد والحيوانات فى إعياء . .
والغابة كبيرة تحتاج لزمن طويل حتى تقطع قد يزيد عن

الأسواع حيث تنتهى تحت هضبة الشلال مباشرة .

ـ عباس .. ما رأيك .. هل وصل أحد إلى ما وصلنا إليه نحن .

ـ لا أعتقد سيدى القائد مؤمن .. نحن على الأرجح أول من وصل إلى هذا المكان من المستكشفين .. لا أحد يجرؤ على دخول هذه الغابة .

ـ ماذا ؟ .. ماذا قلت ياعباس ؟

ـ هذه الغابة أيها القائد .. هل تظن أن من السهولة أن يعبرها أحد ؟

ـ ولم لا ؟

ـ إذا كنا سنعبرها فرادى فقد تستغرق شهراً أو أكثر .. أما إذا كانت معنا هذه الحيوانات والأحمال والأدوات .. فلن نعبرها أبداً إلا فى حالة واحدة .

- ماهى ؟ .. ولماذا تقول ذلك ؟

- أقول ذلك لأنها غابة شديدة الكثافة .. غابة قديمة غزيرة الأشجار والأغصان غابة بكر لم تمتد إليها يد الإنسان من قبل .. فلا طريق فيها ولا مدق نسير عليه .. ولا يمكن أن نعبرها وكلما تفادينا غصناً وجدنا سيقانا ضخمة تسد المكان تماماً .

- وما هو الحل الوحيد ياعباس ؟ .

- يجب أن يكون الفيل هو قائدنا فى ذلك .

- الفيل ؟ .. أى فيل ؟ .. لم نحضر معنا فيلاً ياعباس.

- أعلم ذلك ياسيدى القائد .. لكن لا بد لنا من احضار فيل وإلا فاننا نغامر بأرواحنا فى هذه الغابة المتوحشة .

- نحضر الفيل ؟ .. ماذا تقصد ؟

- أقصد أن نقوم بصيد فيل ثم نروضه ثم نجعله يتقدمنا فى

هذه الغابة .

نظر مؤمن لعباس بدهشة ثم قام واقفاً وصاح فى الجميع

ـ على الجميع الاستعداد للمعسكر هنا فترة طويلة .. أريد منكم من له خبرة بصيد الحيوانات الكبيرة . وخرج أفراد الحملة بفترة الراحة الطويلة التى أمر بها القائد .. فخلعوا وغيروا ملابسهم ونشروها لتجف وأوقدوا لأول مرة منذ أيام النار وأعدوا وجبة ساخنة والتف الجميع حولها وتصاعدت منهم أغنيات كانوا يذكرونها فى بلادهم .

وعاد الدفء إلى حوارهم واستراحت الأجساد .

أما مؤمن فقد خلف فيهم عباس وأمره بعدم التحرك لحين عودته .. وأخذ معه رجلاً كان خبيراً بصيد الفيلة وثلاثة من الجنود وانطلقوا يبحثون عن فيل .. وكان

مؤمن فى نفسه يسخر مما يفعله .. فان مسألة العثور على فيل ليست بالأمر السهل .. لكن الصياد الذى كان يرافقه أكد له أن المكان البكر لا بد أن يحتوى على كل اصناف الحيوانات وبوفرة .

عاد مؤمن من جديد فخرج من الغابة وانطلق على ظهور الحمير هو ومن معه يقطعون مسافات واسعة .. وشاهد بعينيه من بعيد قطعاناً من مختلف أصناف الحيوانات الوديعة منها والشرسة . ولم يصدق عندما رأى الأفيال فى جموع تجرى وتمرح كأنها القطط تلهو فى شوارع القاهرة . واتفقوا أن يصيدوا أكبر فيل فيها فقصدوا نحوه فى سرعة فأزعجوا القطيع كله حتى تفرق ثم التفوا حول الفيل الكبير وأخذوا كلهم يشاغلونه حتى يدافع عن نفسه منشغلاً عن الصياد الذى

صنع له فخاً من الحبال ألقاه حوله حتى سقط فى رجليه الأماميتين . . وعندما حاول الفرار التف الحبل حول قدميه فأعاقه حتى سقط على الأرض فأخذ فى صراخ شديد وحاول قطع الحبال دون جدوى وأخذوا يقتربون منه على حذر ورمى الصياد أنشوطة فى نابيه فأخذ برأسه وشيئاً فشيئاً هدأ حاله وبخبرة محنكة عمل الصياد على ترويضه وأحضر مؤمن ومن معه بعض الأعشاب التى يحبها الفيل وقدموها له وعطفوا عليه حتى أخذ يأكل منها وما هى إلا ساعات بسيطة حتى إطمئن وتم ترويضة تماماً واستطاع الصياد أن يدربه على طاعة الأوامر . . بل وتشجع مؤمن فصعد فوق ظهره وقاد المجموعة حتى عادوا إلى الغابة حيث كان عباس . . فلما رأى القوم الفيل هللوا وكبروا .

وقـرر مؤمن أن يتـحركـوا فى صبـاح اليوم التـالى وذهب وجلس إلى مساعده :

ـ سيدى القائد . . هل ما زلت تريد المغامرة .

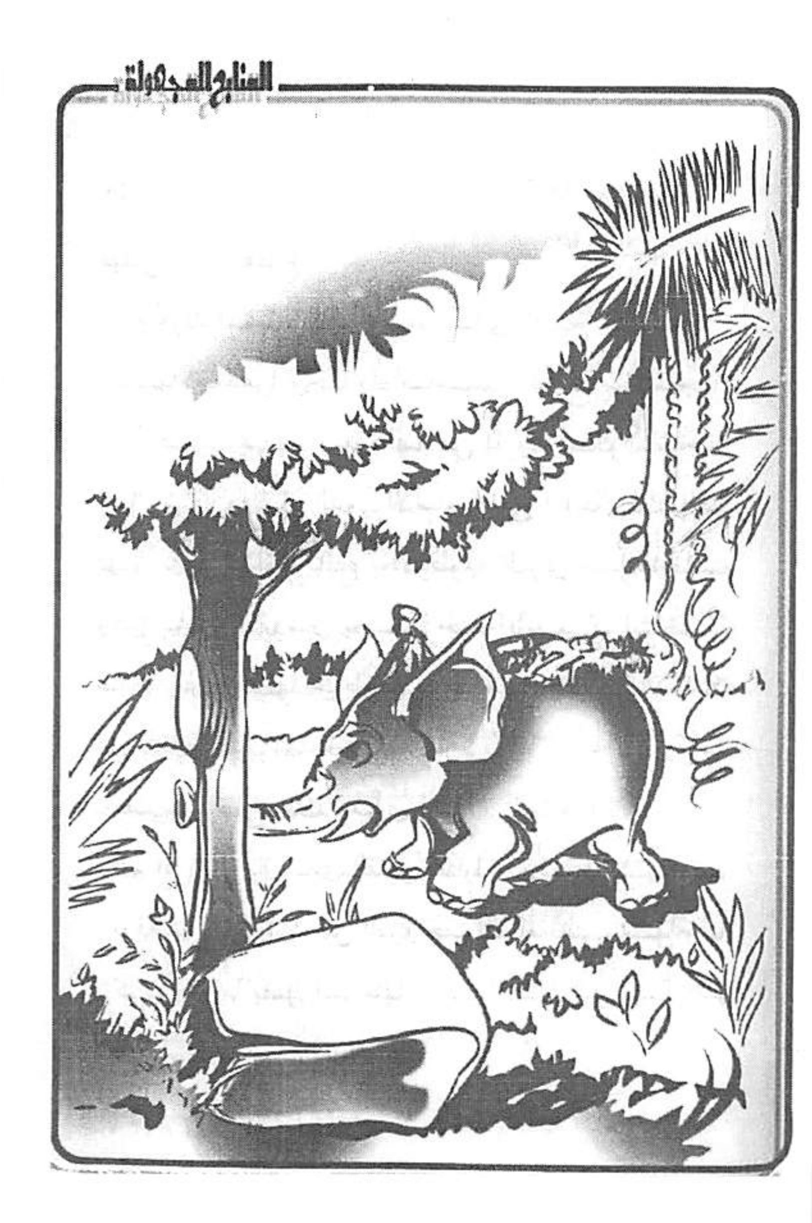
ـ وهل من حلٍ آخر ؟ بل هل من احتمال للرجوع ؟

ـ لا . . ولكنى لست أخشى تسلق الهضبـة بقدر ما أخشى اجتياز الغابة .

ـ الغابة ؟ . . لا تخف ياعـباس . بإذن الله سوف نعـبرها على خير . .

ـ قلبى لا يحدثنى بذلك ياقائدنا .

لـم يكن مؤمن محقاً عندمـا أخذ يقرع مساعده على أنه يصدق أحساساً كاذباً . . ففى اليوم التالى أذن مؤذن فى الجميع أن عليهم الاستعداد للرحيل . وكان النشاط وفيراً فى هـذا الصباح بعد الراحة وإن كـان المطر مازال



يهطل دون إنقطاع .

وتحرك الفيل بيد الصياد الذى أصبح سائسه .. وكلما تقدموا وجدوا أمامهم سداً من الأشجار والأغصان يمنعهم ويعوقهم من المرور فيكون للرجال عمل شاق وللفيل الدور الأساسى فى ازاحة ذلك السد فهو بقوة شديدة يزيح بخرطومه القوى كتل الخشب وكذا بنابيه المقوسين يحمل حزم الأغصان المتشابكة عندما يلف حولها خرطومه ثم يزيحها جانباً .. وكانت كل الغابة على تلك الحال :

ـ مضى اليوم ولم نتقدم سوى أمتاراً .. ما هذا ؟

ـ ألم أقل لك ياسيدى القائد .. المسألة ليست سهلة كما توقعت .. ناهيك من الزواحف السامة التى نقتل منها كل ساعة ما يصل الينا منها ..

ـ اسمع ياعباس .. مع كل فإننا هنا لسنا للتنزه .. بل جئنا لهدف محدد ولا يضيرنا ما نلاقيه من عناء .. هيا اعط الأوامر بالتعسكر حتى الصباح .

وفى الصباح قام مؤمن ليجد معظم رجاله يتلوون وقبل أن يقترب منهم وجد عباس يندفع نحوه فعرف أنه لم يذق طعم النوم من عينية :

ـ عباس .. ماذا جرى .. لماذا يتألمون .

ـ لقد اصيبوا بمرض معدى ياسيدى.. لا تقترب منهم.

ـ ماذا تقول ؟ .. يجب أن ننقذهم .

حاول مؤمن أن يندفع نحوهم لكن عباس صاح فيه:

ـ ارجوك .. لا تذهب نحوهم .. مرضهم شديد .. وعدواه أكيده أنا على دراية بهذا المرض جيداً صدقنى .. لم أنم طوال الليل وأنا على تلك الحال .. اقذف إليهم

باالليمون دون أن أقترب منهم .. يجب أن نتركهم .

ـ نتركهم ؟ .. هل جننت .. نتركهم للموت .. ما هكذا تكون الشهامة .

ـ قلت لك إن المرض فتاك .. لا علاج له .. كل ما علينا فعله أن نتركهم هنا ونرحل قبل أن ننال نفس المصير.

ثارت ثورة مـؤمن علـى مـسـاعـده ورفض أن يدع الرجـال يموتون دون أن يقـدم لهم يد العـون . وقـرر الانطلاق نحـوهم إلا أن عبـاس تصرف تصـرفاً غريـباً عندما باغت مـؤمن بضربة يد فى مؤخرة راسـه فسقط مغشياً عليه .

كم مـضى، من وقت ومؤمن لا يدرى أى شيئ .. هذا ما قصـه عليه عباس بعد ذلك . فلقـد افاق مؤمن ليجد نفسـه وصاحبه على ظهر الفيـل فى عمق أعماق

الغابة :

ـ ما هذا . . عباس . . أين نحن ؟ . . أين الرجال ؟

ـ ماتوا جميعاً .

ـ ماذا ؟ . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . عباس أنت مجرم .

ـ سامحك الله ياقاندى . . لو لم أفعل ذلك لذهبنا مع الذاهبين . . صدقنى إن المرض فتاك لا أحد يعلم سببه أو علاجه . . فقد مكثت أنظر إليهم حائراً متألماً عاجزاً عن فعل أى شئ فهذه إرادة الله ولم تمضى ساعة واحدة إلا وذهب الجميع . . فلتحمد الله أننا لم نصب بمثل ما أصابهم .

ـ الحمد لله . . وماذا عن الحيوانات ؟

ـ لقد ماتت الجمال والحمير أيضاً . . أما الفيل فيبدو أن

لديه مناعة ضد المرض .

ـ إنا لله وأنا اليه رأجعون لا حول ولا قوة إلا بالله . . لا حول ولا قوة إلا بالله لقد ذهب كل شئ ياعباس الناس والحيوانات والمؤن .

ـ لم أشأ أن آخـذ معى غيـر بعض الأدوات والأسلحة . . أما الطعام والزاد فخفت منه

ـ كم مضى علينا نسير فى الغابة .

ـ لقد قطعنا شوطاً كبيراً ياسيدى القائد . . لقد خف الحمل مع الأسف .

ـ نعم . . سبحان من لـه الدوام . . سبحان الحى الذى لا يموت . . كم بقى لنا إذن ؟

ـ لا أعـرف ياسيـدى مؤمن . . سنظـل هكذا حتى تنتـهى الغابة ونجد الهضبة أمامنا .

ظل الفيل يتقدم والإثنان فوقه يأكلان من ثمار الشجر ويشربان من الماء المتجمع فى تجويف الأوراق الكبيرة للشجر وكان فى إنتظارهما خطر داهم .. فهناك فهد أسود كان يتربص بهما منذ وقت قصير ويراقبهما بمكر شديد .. فلما اقترب منهما شعر الفيل بحركته فتوقف وأخذ يصرخ ويرفع خرطومة عالياً ويدور حول نفسه حتى كاد أن يُسْقِط صاحبيه:

ـ عباس .. ما هذا ؟

ـ يبدو أنه قد شعر بخطر ما ..

وفجأة وبدون إنذارٍ سابق لمح مؤمن شيئاً يشق الهواء وينطلق نحوهما وفى وثبةٍ خاطفه احتضن عباس والقى بنفسه معه من فوق الفيل الذى أخذ يعدو مبتعداً فى الأحراش وسحب مؤمن سيفه فى حين كان عباس فى

غيبوبة بصرية من المفاجأه .. كان الفهد يفوق مؤمن حجماً بثلاث مرات .. فلم يرَ مثله من قبل .. لونه أسود فاقع كأنه الشيطان وله عينان تميلان إلى الاخضرار كأنها تعكس ألوان الشجر أما مخالبه فكانت كالخناجر المسلطة .. أحتمى مؤمن بساق شجرة .. مادأ سيفه للأمام وأخذ يراوغه ويحاوره حتى أخذ الفهد يدور حوله كالمجنون .

وبينما هو كذلك قفز مؤمن بعيداً عن الشجرة تاركاً خصمه يدور دورة فاشلة وقبل أن يفيق لينظر إليه بادره بطعنه بكل قوته نفذت فى بطنه فقضت عليه فى الحال ثم اتجه ناحيه عباس الذى كاد يبول على نفسه من شدة الخوف والرعب :

ـ سيدى مؤمن .. أنت رائع .. أنت غير طبيعى .. كنت

أتساءل منذ أن خرجنا من المدينة .. ما الذى جعل السلطان يختارك لهذه المهمة . عذراً .. فلم أكن أعرف أنك بهذه القدرة الرهيبة ..

- عباس .. أين الفيل ؟ لم أعد أراه .

- لقد هرب من الخوف ياسيدى .. لا أدرى إن كان سيعود أم لا .

- اسمع ياعباس .. لا بد أن تتحصن بالشجاعة .. نحن فى مصيدة .. فى شبكة من الأخشاب والورق .. لو لم نكن على قدر من الشجاعة والحذر فلن نخرج منها أبداً فالخطر يتهددنا من كل جانب .

سار الاثنان يحمدان الله أن كيس المعدات والمعاول قد سقط من الفيل قبل أن يهرب .. وكانا رغم ذلك على الأقدام أكثر سرعة فى التوغل وشعرا أن ذلك

أفضل من وجود الفيل معهما فى هذه المرحلة بالذات .

كان الليل فى الغابة مخيفاً . . ضحك القردة في كل مكان وأصوات الطيور المفاجئة والحشرات المضيئة التى تصيب بالرعب . . فكان يصعب النوم مع أن الرفيقان كانا يتناوبان الحراسة فى فترة الليل . . ومرت عدة أيام وليال حتى كان يوم صاح عباس بفرحة ولهفة :

- سيدى . . سيدى . . اتسمع صوت الشلال .

كان صوت الماء الذى ينحدر من أعلى الشلال فى هذا الصباح قريب كأنهم بجانبه وقد شجع ذلك على سرعة التقدم حيث أخذت الغابة تتسع شيئاً فشيئاً وتقل كثافة الأشجار والأغصان حتى خرجا منها فى آخر يوم إلى أرض صخرية رأيا أمامها الهضبة العالية دون أن يستطيع أحدهما رؤية قمتها الموغلة فى الارتفاع :

- عباس .. كنت تتذرع بأسباب لعدم تسلق الهضبة، وقد زالت كلها .. فليس معنا أى شئ .. ذهب الناس والحيوانات والمؤن ولم يبق سوانا .

- ومع ذلك فلا زلت أتمنى ألا أموت مترديا من فوق جبل.

- توكلت على الله .. اسمع يا عباس اليوم راحة .. لأن التسلق يحتاج إلى قوة ونشاط .

وفى اليوم التالى قطعا سحابة النهار فى تجميع الألياف النباتية من أشجار الغابة وجلسا يجدلان حبالاً طويلة حتى مر اليوم التالى دون تسلق .. وفى الصباح الباكر بدأت رحلة الصعود .. وأظهر مؤمن براعة فى التسلق إلا أن عباس تراجع ولكن مؤمن حاول تشجيعه خاصة وأن المطر قد انقطع كأنه إيذان بضرورة العمل الجاد :

ـ عباس .. هل ستتركنى وحدى .

ـ معذرة ياسيدى .. أنا لا أستطيع .

تراجع مؤمن هو الآخـر ولما نزل قام بتعنيف عـباس ثم اقنعه وأخـذ يدربه على كيفـية التسلق حتى صـعدا سوياً يتسلقـان .. وعند الظهيرة كانا قد أجهـدا إجهاداً عظيماً ونظر عباس لأول مـرة تحته فكاد يُغشى عليه من الخوف .. لقـد رأى الغابة كلها مـن أعلى كأنها بقـعة وسط الصحراء . فأحس برهبة ورجفة ولم تقدر ذراعاه ولا رجلاه على العمل .. فانتخب مؤمن بروزاً عريضاً وسحب عباس إليه وجلسا وهما يلهثان .

نظر مؤمن فوقـه فوجد أنهما لـم يصلا بعد إلى ربع المسافة ونظر أسفل منه فأحس أنه يجلس فى السحاب:

ـ سـيدى .. أرجـوك .. دعنى فـأنا سأمـوت هنا .. لا

أقوى على أكثر من ذلك .

- لا تكن أحمقاً ياعباس .. أبعد كل ما قطعناه تتقاعس؟.. هيا .. هيا بنا .

وقطعا بعد ذلك نصف المسافة لأعلى في إنهاك شديد حتى أصبح الإنحدار رأسياً.. فكان عليهما تقليد الصراصير أو الجرذان وهى تمشى على الجدران.

كان مؤمن يدق فى الصخر مسماراً عريضاً من الحديد ثم يصعد عليه ثم يدق غيره أعلى منه ثم يصعد عليه ويميل لأسفل فيخلع الأول ليستخدمة فيما بعد.. وهكذا كانت المهمة شاقة لأنه بعد أن يقطع ارتفاعاً كبيراً يربط حبلاً لرفيقه الذى يتسلق عليه لأنه لا يقوى على دق المسامير.

المعاناة اشتدت.. الهضبة الآن ماهى إلا جدار أملس

كـأنه سطح من رخام لابروز فـيه ولاتجـويف.. وهذا يعنى أن ذراعاه ستظل تعـمل وتحمل الجسم لأعلى دون رحمة.. دون توقف.. لأن التوقف معناه الخوف وأقل حركة تردد من هذا الإرتفاع الشاهق وأى ذلة وأى غفلة لاتعنى إلا السـقـوط والتـردى أى الموت وتحطم العظام تحت الهضبة.

وجاء اللـيل وكلت الأجسـام تماماً.. هل سيـنامان كالخفاش وصرخ عباس:

ـ آه.. لاأقدر..آه.. سأسقط أيها القائد.. لاأقدر.

ـ عباس.. إياك أن تفعلها .

إنها فترة راحه.. من بعيد ترى اثنين يلتصقان بأعلى جسم الهضبة.. وإذا كنت بجانبهـما ترى الواحد فيهما يقف على مسمار ويداه تمسكان بمسمار أعلى من الرأس

دون تقدم.. فهكذا سيقضيان الليل البطئ .

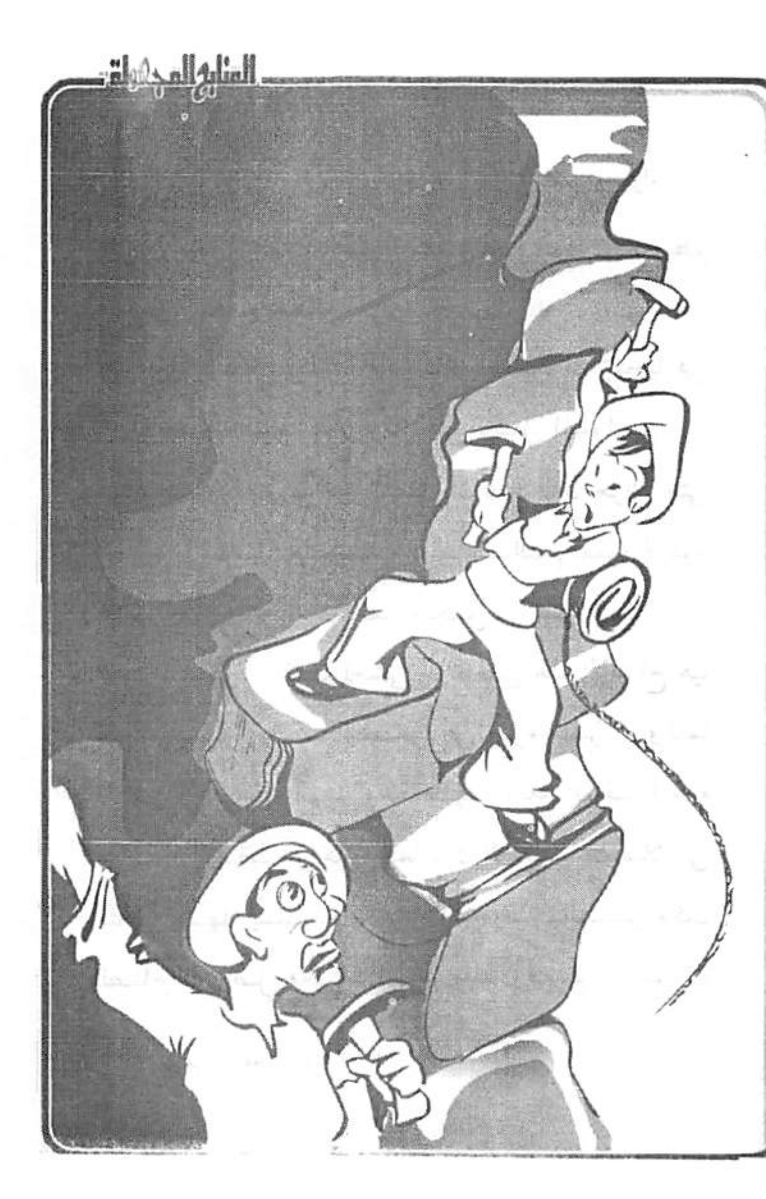
حاول عباس أن يتماسك.. لكن النعاس حاول أن ينال منه .

ـ عباس.. عباس.. إياك أن تستسلم للنوم. ستقع.. تيقظ..كلمنى.. كلمنى ياعباس .

ضحك عباس ضحكة يأس ثم قال :

ـ سبحان الله.. سبحان الحى القيوم..ياصديقى.. ياقائدى.. إنها لحكمة عظيمة مانحن فيه الآن.. انظر.. ماذا لو غفلت العين همسة.. لحظة واحده .. النتيجة الحتميه هى الموت يا صديقى لكن الله الذى خلق الكون كله لاينام .. لاتأخذه سنة ولانوم.. إنه حى قيوم.. لاتأخذه سنة ولانوم..

ـ بارك الله فيك ياعباس.. إن الله يمسك السماء أن تقع

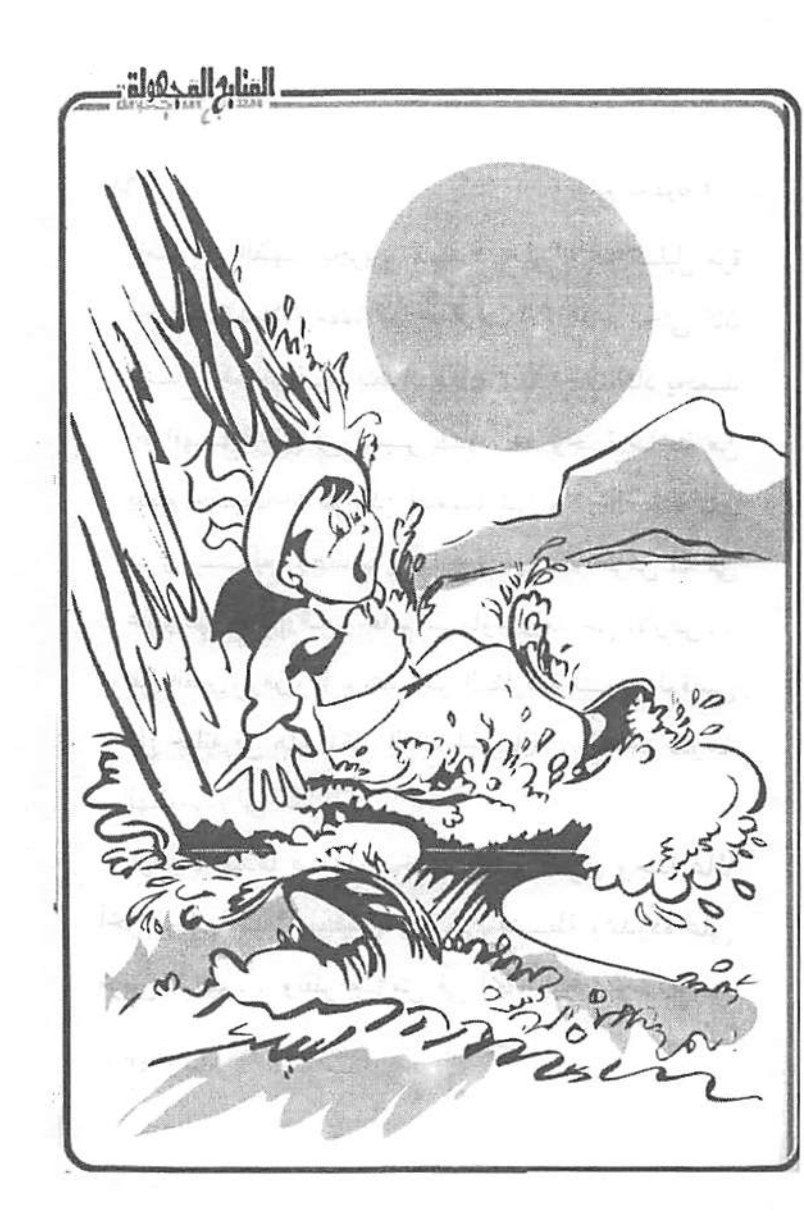


على الأرض ويمسك الكــون كله ويديره بمواعــيــد ونظم غاية فى الدقه والعظمة .

لم تغفل عيناه أبداً . . فادعــوه ياعباس أن يمنحنا فى هذا الموقف العصيب من قوته حتى نكمل المشوار .

ـ سيدى القائد . . ليس من الـعقل أن نظل دون حراك حتى الصباح . . لايجب أن ننتظر أن يباغتنا النوم بغفوة لانقوم بعدها أبداً . . يجب أن نعمل ونكمل .

ـ عظيم ياعباس . . كنت أخشى أن ترفض هذا الإقتراح هيا بنا . . هيا بنا . واستمر الصــعود فى ضوء القمر . . وكلما تقدمــا لأعلى قل الهواء وعلا اللهث وبعد أن كــادا عدة مرات أن يســقط الواحد منهما دون الآخــر . . وصلا إلى منحدر ســهل يستطيعان الســير عليه وليس التــسلق وكان الصباح قد وصل معهــما فسقطا يغطان فى نوم عميق ثم



قاما بعد الظهر يجريان صعوداً حتى هجم الليل مرة أخرى فأكملا نومهما فى حالة من الأمان.. حتى كان صباح جديد قاما ينظران فإذا الصقيع يكاد يجمد أطرافهما فأخذا فى السير بهدوء بعد وجبة ساخنة من طعام خفيف.. لم يكن أمامهما شئ ولا خلفهما شئ سوى السماء والضباب والسحاب وشعر مؤمن أنه فى عالم لم يره من قبل، عالم سماوى يبعد عن الأرض.. عن الطين.. ولولا برودة الجو القارصة لتمنى لوقضى كل حياته فى هذا المكان الرائع الجمال.. الساحر لدرجة الهيام.

وفجأة عندما صعدا صخرة صعبة أخرى وجدا عالماً آخر.. إنها قمة الهضبة.. فهى منبسطة وممدودة على مرمى البصر.. ونظر مؤمن فى اتجاه اليمين وصاح فى

عباس .

- هيا بنا ياعباس إلى الشلال . . إلى بقية مجرى النهر .

وجـــرى مـــؤمن وهو يريد أن يـصــدق ظـنه وظن صاحبه . .

وكلما كان يقتــرب من صوت الماء يزداد قلبه دقاً . . فلا قدرة له بعــد ذلك أن يتبع مجرى النــهر ولما وصلا إلى قــمة الشــلال أخذتهــما الفــرحة وأخــذا يرقصــان ويتعانــقان ونسيا كل مامــر بهما من عذاب ومــعاناه فى هذه الرحلة .

نعم فهمــا الآن يقفان فوق منبع النهــر تماماً . . المنبع الذى أعيــا كل من حاول الوصــول إليه . . إنهــا فوهة كالبحيرة الواسعة الشاسعة يأتى لها الماء من السماء مطراً يتجمع فيها فيـفيض منها إلى الشلال . . ثم إلى مجرى

النهر الطويل الذى يجرى نحو الجنوب.

وقفا على قمـة الشلال ينظران للماء وهو يسقط فى منظر خـلاب يأخذبالألبـاب وحمـدا الله وشكراه على نعمه العظيـمة. وبعد فترة هدوء نظر عـباس إلى مؤمن وقال :

ـ هلا أخبرتنى كيف سنعود أدراجنا .

ضحك مؤمن وقال له :

ـ هل تذكر القوارب التى تركناها على شط النهر؟.. يجب أن نلحق بها .

ـ نظر عباس لمؤمن فى دهشه وقال ماذا تقول ؟

تقدم مؤمن إلى حافة الشلال حيث كان الماء ينجرف فجأة لأسفل وقال لعباس :

ـ لك كل الحرية كل الحـرية إما أن تفعل مـثلى أو أن تعود

لتنزل الهضبة كما تسلقتـها أو أن تلتف حولها عدة شهور ماذا قلت ؟

وفجأة لم يجد عباس مـؤمن أمامه . . عندما قفز من أعلى ورآه وهو ينخرط مـع الماء الهابط لأسفل بســرعة جنونية مهولة .

وبعد أقل من ساعة كان مـؤمن يسبح مع التيار حتى وافى القوارب ووجدها كما هى منطفأة على وجهها . . فهيـأ واحد منها وأمسك المجداف وقـبل أن يترك النهر يحمله لطريق العودة إذ به يرى رأساً أسـمراً يطفو فوق الماء فصاح فى فرحة :

ـ مرحباً عباس . . لقد اخترت الطريق السهل . . مرحى .

وماهى إلا فتـرة وجيزة حتى عـاد مؤمن إلى المدينة ودخل على السلطان فـى قصـره فلم يصـدق السلطان

نفسه خاصة لما قال له مؤمن :

- سيدى السلطان لقد وصلت إلى منبع النهر . . والأعجب أنه نفس المكان الذى وصلت إليه أنت لكنك التفـفت حول الهضبة فضللت الطريق .

- وأنت؟ . . هل فعلتها . . اخترقت الغابة وتسلقت الهضبة .

- هو كذلك بفضل الله يا سيدى السلطان ومنبع النهر هو الشلال، طار السلطان فرحاً وأقام الزينات والإحتفالات وطلب منه مؤمن أن يأمر البنائين والنجارين أن يذهبوا نحو الشلال ويقيموا سلالماً خشبية تُمكن الناس من صعود الهضبة لرؤية عظمة الله فى خلقه . .

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا

تَشْكُرُونَ ﴾[الواقعة] [﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الفاتحة].

كانت هذه عبارة الشكر التى قالها مؤمن بعد أن وفقه الله فى النجاح فى مغامرة المنابع المجهولة. خاصة وأن السلطان قد منحه صندوق المجوهرات.. فأخذ منه مؤمن جوهرته وأعطى ثلثه لصديقه عباس والثلثين الباقين تصدق بهما على فقراء المدينة .

أما عباس فقد علم السلطان ماكان منه فأمر بضمه إلى زمره علماء وحكماء المدينة والقصر .

وعاد مؤمن يحمل سيفه وقوسه وكيس الزاد يركب الجواد يجوب أرض العباد ويدعو رب العباد أن يصل فى الميعاد لأمه وبلده ليقطع الشوق والسهاد .

تمت بحمد الله تعالى

مغامرات عجيبة جداً

١ - جوهرة الكهف المسحور.
٢ - جوهرة البحر السابع.
٣ - جوهرة البركان الأحمر.
٤ - جوهرة مملكة الموتى.
٥ - جوهرة الأدغال المتوحشة.
٦ - جوهرة الصقيع المظلم.
٧ - جوهرة البريق الغامض.
٨ - جوهرة المدينة المتحجرة.
٩ - جوهرة ميناء المذبح.
١٠ - جوهرة الرمال الملتهبة.
١١ - جوهرة معبد الشمس.
١٢ - جوهرة السحر الأسود.
١٣ - جوهرة مصاص الدماء.
١٤ - جوهرة التنين الطائر.
١٥ - جوهرة سجن المستحيل.
١٦ - جوهرة الديناصورسام.
١٧ - جوهرة عقلة الإصبع.
١٨ - جوهرة المحيط المخيف.
١٩ - جوهرة القلعة المسكونة.
٢٠ - جوهرة الزهرة القاتلة.
٢١ - الكنز الأسطوري.
٢٢ - الأربعين حرامي.
٢٣ - الذقن المتحركة.
٢٤ - الأرض المقدسة.
٢٥ - اجوهرة لتمساح الرهيب.
٢٦ - جوهرة الجزيرة المجهولة.
٢٧ - جوهرةا لمتاهة المخيفة.
٢٨ - جوهرة السباق المحموم.
٢٩ - جوهرةالفرقة الانتحارية.
٣٠ - جوهرة العروق الذهبية.
٣١ - جوهرة القلب الميت.
٣٢ - جوهرة النفق الأسود.
٣٣ - جوهرة الروح الشريرة.
٣٤ - جوهرة وادي الهلاك.
٣٥ - جوهرة الثقب الأسود.
٣٦ - جوهرة حرب الكواكب.
٣٧ - جوهرة عصر الزواحف.
٣٨ - جوهرة لعنة الفراعنة.
٣٩ - جوهرة الأخ الغائب.
٤٠ - الأميرة والقرصان.
٤١ - جوهرة معسكر الخطر.
٤٢ - جوهرة السفينة الضائعة.
٤٣ - جوهرة المنابع المجهولة.
٤٤ - جوهرة العطش القاتل.
٤٥ - جوهرة التاج المفقود.
٤٦ - جوهرة السيف الذهبى.
٤٧ - جوهرة مدينة الأهوال.
٤٨ - جوهرة المومياء الغارقة.
٤٩ - جوهرة الفيضان المدمر.
٥٠ - جوهرة القارة المفقودة.
٥١ - جوهرة الصقر الكبير.
٥٢ - جوهرة جبل العسل.